

دمية القصر

لربِّ بدورٍ عَجْرَتٍ بِدِيَا جِرِّ ... وَرَبِّ خُدُورٍ هُتِّ كَتِّ خَفَرَاتُهَا .
فمن فَتَيَاتِ نَطِّ قَتِّ بِذَوَائِبِ ... وَمِن فَتِيَةٍ مَسِّ الثَّرِي وَفَرَاتُهَا .
وَمِن أَعْيُنِ غُضَّتْ وَكَانَتْ عَلِيَّةً ... تَشَاوَسُ الْحَاظَ الدُّجَى نَطْرَاتُهَا .
ومنها : .
أَسَاغَتْ بِطُونُ الْأَرْضِ سَوْدَ أُسُودِهَا ... وَلَقَدْ لُفِظَتْ فَوْقَ الثَّرِي حَشَرَاتُهَا .
فَكُنْ لِلْمَعَالِي يَا أَبَاهَا بِعُيُودِهِ ... حُسَامًا تَجِدُ عِنكَ الْعِدَا وَتَرَاتُهَا .
وَمَا لِلْمَنَايَا عِنَ عِدَى وَأَقَارِبِ ... مَرَاحٌ إِذَا عَادَ الْوَرَى سَكْرَاتُهَا .
عِزَاءً عَلَى الدُّنْيَا وَصَبْرًا عَلَى الرَّدَى ... إِذَا مَا دَوَاعِيهِ عَلَّتْ نُعْرَاتُهَا .
تَنَكَّرَتْ الْأَيَّامُ لَا بَلَّ تَنَكَّسَتْ ... فَقَدْ شَابَهَتْ آصَالَهَا بِكِرَاتُهَا .
أَلَا فَلَيرِثِ نَجَلُ الْإِمَامِ وَصِنُوهُ ... بِقَايَا عُلَا تَحْوَى بِهَا أَثَرَاتُهَا .
وَمَا بَعْدُ عِبْدِ إِلَّا لِنَجْلِهِ ... وَسَائِدُهُ فَلَتحْوَهُ فَعَرَاتُهَا .
إِذَا مَا خَلَا الْمِيدَانَ عِنَ قُورِحِ الْوَعَى ... أُقِيمَتْ عَلَى مِضْمَارِهَا مُهْرَاتُهَا .
وَمَا أَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ قَوْلَهُ مِنْ فَخْرِيَّةٍ : .
يَا لِدَلْوَزَارَةٍ مَا لِي لَا أَعْصُ بِهَا ... وَمَا لَهَا لَا تُعَلِّى أَوْ تَشْرِفَ بِي .
وهذه مبالغة حسنة ومن عجيب ما سنج من فخرياته تخلّصه من صفة البُرغوث والبقّ إلى نوعٍ من فخره المستحقّ في أُرجوزةٍ له يقول فيها : .
رَقْمُ الْبِرَاغِيثِ وَزَمْرُ الْبِقِّ ... فِي مُمْحَصٍ مُخَصَّصٍ بِالذَّرْقِ .
يَرَعَيْنَ بَيْنَ أَحْمَصِي وَالْفَرَقِ ... لِحِمَاً جَرَّتْ فِيهَا دِمَاءُ الْعِتَقِ .
ومن فخرياته الحسنة قوله مما أنشدنيه لنفسه : .
لئن كان حظّي منكَ أَنِي مَخْوَلٌ ... لِحَطِّكَ أُثْنِي إِذْ تَجُودُ وَأُقْبِلُ .
فقد نلتَ مِنِّي رُبْتَبَةً لَا تُنَاوِلُهَا ... ذُكَاءُ تُعَاطِينِي السَّنَا فَأُطْلَلُ .
ومنها : .
مِشْتٌ فِيَّ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي كَأَنَّهَا ... سَبِيلُ حَرِيْقٍ فِي الْإِبَاءِ تَغْلَغَلُ .
أَجُوعٌ وَأَطْمَأْ عِفَّةً وَتَكَرُّمًا ... وَقَدْ ضَجَّ بِي وَادٍ وَغَطَّ غَطًّا مَرَجَلُ .
مَكَارِمُ خَاطَتُهَا الْعُلَا بِجُلُودِنَا ... فَمَا هِيَ عَنَ أَبْشَارِنَا تَتَنَقَّلُ .
وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ غَزَلِيَّةٍ : .
مَا هِيَ إِلَّا لَطْخَةٌ الْغَالِيَةِ ... وَهِيَ لَعَمْرِي لَطْخَةٌ الْغَالِيَةِ .

أُنظِرْ إليها كدُجى مَسْكِه . . . في ضوءِ شمسِ الضَّحوةِ العالِيه .
وحوَلَهَا من صُدْعِه عَنبِرٌ . . . كالْعُدَّارِ السُّودِ على الغالِيه .
وهي على مذهبنا قَبِيلَةٌ . . . للقبَلِ العاطرةِ الحالِيه .
فبوركتْ خَلْقَةٌ تَضْمِيخُه . . . لم تَمْتَهِنْدُهَا أُنْمَلُ الطالِيه .
قد خَطَرَ الشوقُ على بالِيه . . . إثرَ رُسومِ الصَّبوَةِ البالِيه .
وشوقُ قلبي بجُنونِ الهَوَى . . . نَشوانٌ لا يعرفُ ما حالِيه .
وأنشدني أيضاً لنفسه من غزلية : .

أميرُ الحُسْنِ لا يَلَاوِي عَزِيمَه . . . ويقسمُ في ضرائره الغَنِيمة .
وما ذا ضَرَّه لو أن لامي . . . يُغزلُ في خِلالِ المَشَقِّ مِيمَه .
وقال وُشَاتُه : لم تَحَطَّ عنه . . . وقد ثَقَّبتِ درَّتَه اليتيمَه .
وله أيضاً من حادثة في بعض الغِلْمان : .

إنَّ الكَرْنَدِيَّ رُوشنًا خُرَّه . . . في غِلْمَةٍ وجهُهُ لَهْمُ غُرَّه .
فخيسَطوا بالعُقارِ مَقْلتهُ . . . ومَزَّقوا لا وثَقَّسَبوا درَّه .

قلت : ما أحسن استدراكه اللفظة الفاحشة مع جمعه بين ضدِّي التخييط والتمزيق ! .
وهذا من باب التوفيق للتلفيق . وكتب إلى القاضي أحمد بن منصور بن محمد الأزدي الهَرَوِي
يعاتبه وبينهما محاوراتٌ ومكاتبات : .

الذَّنبُ لي لا لمنصورٍ وللكرمِ . . . أنا المصُّبِيعُ يا ذِيبَ العُلا كَلَمِي .
ناسَمْتُهُ فتَلَقَّتَنِي سَمائُهُ . . . ليتَ الجَفَاءُ كفاءُ منه للذَّعَمِ .
وله في غلامٍ أورد الماءَ مُهرا .

وظبِيٍّ أوردَ الماءَ . . . غزالاً حالِي الذَّحَرِ .
فأبصرتُ غزالينِ . . . مَرُحِينِ إلى النهرِ .